حزيران والشعر والثورة

فوزى كريم

اين هو الشعر من حزيران ، واين هو حزيران في الشعر ؟ لقد اصيب الشعراء — عبر هذا التساؤل — من تهم المفكرين الكثير ، ولقد اصيب المفكرون ، بدورهم ، من ضيق الشعراء ، الكثير الكثير . وما من هوة عميقة كالهوة التي تفصل بين شعراء العربية ومفكريها . ولعل الصرخة التي اطلقها الشاعر محمود درويش امام النقاد ومفكري الشعر قائلا « انقذونا من هذا الحب القاسي » ، كانت اكثر ودا واقل قسوة من تلك السابقة التي اطلقها الشاعر الفلسطيني يوسف الخطيب « يا نقاد العالم ... ارفعوا ايديكم عن قصائدنا ، واقراوا راس المال »(١). فلقد كان درويش يحب بتواضع وحياء ان يتعرف على موقعه الحقيقي، وموقع زملائه من خارطة الشعر الشاسعة ، ويخشى كل الخشية ان يكون صوته وصوت زملائه مجرد لافتة مثيرة في مقدمة مسيرة سياسية. ولكن احتجاجه هذا حين يتوجه الى النقاد ذاتهم انما يتحول الى مطالبة ، لا تعنى في النهاية بذلك الفاصل الذي يجعل الشاعر والشعر في طرف والناقد والفكر في طرف آخر ، ذلك الفاصل الذي كان يوسف الخطيب يريد بغضب العارف ان يجعله حقيقة اساسية : « ان جميع اعباء الفكر — الموضوعية بطبيعتها — قد خلعها النقاد على عاتق الادب عامة، والشعر بصفة خاصة، لا لمجرد لبس في المفاهيم ، بل على الاغلب، هربا ، وتعمية على اصل القضية ، لانه يظل الاسهل ان يتعرض الناقد لشاعر على الرصيف ، من ان يتعرض لشرطي في الدولة ... »(٢).

اذن ، فالامر يعود في النهاية الى دور الشعر ومهمته . هل تملك العملية الابداعية في الشعر وفي غير الشعر ان تكون حصيلة ردود افعال مباشرة لازمات الواقع المعاش . ولماذا يرى المفكر الناقد ان الكاتب الروائي انما يحتاج لفاصل زمني كبير بين حدث الواقع وحدث الرواية من اجل خلق بناء متكامل وخالد ، ولا يرى الامر ذاته بين الحدث والشاعر ؟ وكيف نفسر طبيعة العلاقة بين الشعر والالتزام ؟ وماذا يعني الشعر الثوري ، والثورة في الشعر ؟ ان الاجابة الواضحة على مجموع هذه الاسئلة ، واسئلة اخرى كثيرة ، تشكل القاعدة الضرورية لفهم العلاقة اللازمة بين هزيمة ٥ حزيران والشعر الذي تلاها ، والشعر العربي بشكل عام .

لمنح الصلح كلمة يقول فيها « ان حرب الخامس من حزيران لم تكن الا انفجارا داخل الحل السلمي »(٣)، فنحن محكومون — بهذا المعنى — داخل مسيرة هذا الواقع لا خارجها.وبهذا المعنى ايضا يجبان ننظر الى كل انفجار شعري يستوي على ارض الواقع كرد فعل مباشر . فمعظم الاعمال الشعرية التي طمعت وتطمع بهذا اللقب « الادب الحزيراني » ستمثل في النهاية هذه الاستجابة المباشرة لانفجار عابر ، وستكون تحصيلا موسميا يشبه المهمة الصحفية في تغطية الاحداث ، او « ادبا يؤرخ للازمة » كما يسميه غالي شكري : « لقد آن الاوان لان نفرق الادب الذي « يقاوم » قبل حدوث المحنة ، وهو الادب الذي يرتفع الى مستوى النبوءة ، والادب الذي « يقاوم » اثناء المعركة